«يوم الأرض» في معرض لاتحاد التشكيليين الفلسطينيين في صالة الشعب

المبيض: الشعب لا يموت... وبشعب كهذا لا تموت القضية

رئيس اتحاد الكتاب العرب: أي عمل تشكيلي لا ينتسب إلى قضية يكن عملاً معلقاً في الفراغ

| سوسن صيداوي

الأرض منها وإليها يعود الإنسان، فهي البداية وحتى النهاية. من سمرة ترابها يُجبل المرء ليحمل منها كل الصفات والمشاعر والأفكار، التي تبقى مخزونا فيه مهما طال عمره وأينما قضت له المشيئة بالترحال أو الأسفار. إذاً الأرض هي الأوطان، هي الهوية والانتماء. الأرض هي الأم والخصب، هي الأب والعزة، هي الشباب وثمرة النضوج، وهي أيضاً شيخ الحكمة. الأرض هي ما لا يمكن جمعه بجمل الكلام، لأنها وفيرة المعاني ومنها، كلّ العطاء. ولأنّ من رموزها الثبات والاستقرار وبمناسبة الذكرى الـ٤١ لـ«يوم الأرض» وبرعاية وزارة الثقافة، أقام الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين، معرضا فنيا في صالة الشعب للفنون الجميلة في دمشق، محتضنا في جنباته باقة من الفنون التشكيلية من رسم ونحت وتصوير ضوئي وغرافيك، وتمّ افتتاحه بحضور معاون وزير الثقافة المهندس علي المبيض، والسفير الكوبي روهيريو مانويل سانتانا رودريغز، والدكتور إحسان العر رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين والدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب، وعماد كسحوت مدير الفنون الجميلة بوزارة الثقافة وحشد من الفنانين والنقاد والمهتمين.

القضية لن تموت

معرض «يوم الأرض» مفعم بالحيوية، حاضر بالأمل، غني بجدارة التجربة ورسوخ الخبرة، من خلال اثنين وخمسين عملا فنيا، قدّمها فنانون تشكيليون فلسطينيون وسوريون من أجيال مختلفة، وهذا ما أشار إليه معاون وزير الثقافة علي المبيض أثناء افتتاحه للمعرض قائلاً: «المعرض جميل جداً وجماله ينبع من الشرائح العمرية المتنوعة والمختلفة المشاركة فيه، فهو معرض يضم أكثر من خمسين عملا لفنانين من بينهم شبان، أو الذين في مقتبل العمر، وحتى الكهول، ويضم المرأة والرجل، السوري والفلسطيني. هذا كلّه يعكس وحدة القضية، وصحيح أن عنوانه الرئيسي «يوم الأرض» إلا أنني بعد أن شاهدت اللوحات كلّها خرجت بفكرة وهي «أنّ الشعب لا يموت، والقضية لن تموت. وبشعب كهذا القضية لا تموت». أما بالنسبة للأعمال، فجماليتها برموزها المؤكدة لحق العودة، والتي هي واضحة سواء من المفتاح وشجرة الزيتون والكوفية الفلسطينية.... إلخ، إذاً الأعمال هي حالات تصور الواقع الذي نعيشه من خلال الأزمة التي تمر بها سورية وكذلك القضية الفلسطينية، ولكن هنا نجد الفنان يدافع ويقاتل من خلال أدواته، بريشته وألوانه».

العمل الذي لا ينتسب لقضية يعلق في الفراغ

أظهر الفنانون الشبان المشاركون مستوى متطورا فيما قدموه من أعمال تعكس الموهبة والإمكانات التي يتمتعون بها، مؤكدين بذلك أن الفن التشكيلي سلاح فاعل في نشر الثقافة وله دوره المثمر مثله مثل أنواع الثقافات الأخرى، وهذا ما عبّر عنه د. نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب، إذ قال: «من الباهر تماما أن يكون للفن التشكيلي دوره في المقاومة، وعندما يختار الفن التشكيلي النهوض في هذا الدور، يعني تماهيه تماماً مع قضاياه الكبرى، وأي عمل تشكيلي لا ينتسب إلى قضية، يكن عملاً معلقاً في الفراغ، وهذا المعرض يقدم قرائن مهمة على أن الفن التشكيلي يقوم بواجبه تجاه القضية الوطنية المركزية، وهي قضية فلسطين، لأن يوم الأرض لم يكن يوماً معنياً بأولئك الرجال الذين قدموا أمثولة عظيمة في الثبات في أرضهم، بل جاءت مختلف أشكال التعبير الأخرى للمقاومة، لتؤكد قيمة الثبات في الأرض وثقافة الثبات في الأرض، هذا المعرض تتويج لهذه القيمة، إبداع حقيقي لهذه القيمة، وأنا أرى مجموعة من اللوحات الناطقة بهذه الثقافة والمعبرة عنها والدالة عليها، كما أحيي الفنانين المشاركين لخياراتهم التشكيلية العالية المستوى، من خلال المستوى المضموني والمستوى اللوني والمستوى التشكيلي، ولعل أجمل ما يلفت في هذا المعرض هو حضور المرأة فيه وفي أغلب الأعمال التي يضمها، لكأن ثمة رغبة مضمرة في التأكيد أن المرأة والأرض وجهان لقيمة واحدة هي الخصب».

> يوم الأرض هو يوم مقدس ارتبط بفلسطين وحلم العودة

الفنانون الشبان هم الأمل

أشار الفنان التشكيلي إبراهيم مؤمنة إلى أن كفاح الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني هو ملهمه في تنفيذ مادة لوحتيه، حيث استخدم الألوان القاتمة للإشارة إلى الظلم الذي يتعرض له هذا الشعب وهو في الوقت نفسه يشبه ما يتعرض له الشعب السوري في ظل الأزمة الحالية نتيجة المؤامرات العالمية التي تحاك ضد الوطن، قائلاً: المعرض هو تحية للجيش العربي السوري وشهداء الجيش العربي السوري والمقاومة الفلسطينية، وأنا مثلي مثل كل الفنانين المشاركين، شاركت بلوحتين، واحدة تعبّر عن تشبّث الجيش بالأرض وتمسكه وتجذره بها، وعلى الرغم من استشهاد الجندي، إلا أنه يرفع رأسه عاليا كي تزهر سورية، وبالنسبة إلى اللوحة الثانية، فإنها تجسد المرأة، سواء المرأة السورية أو الفلسطينية، والجندي في اللوحة يدافع عن سورية وعن فلسطين في الوقت نفسه، وهو لا يلبس «الحطة»، بل يحمل كفنه على رأسه من أجل الدفاع عن الأرض، والمرأة في اللوحة دليل على أن الأرض ما زالت حبالة وولّادة تنجب الأبطال والمقاتلين. وبخصوص مشاركات الشبان في المعرض، الشبان هم الأمل فنحن الجيل القديم ومعظمنا أُرهق، ولكن هذا الشباب المتمسك بهويته الفلسطينية السورية، والذي يدافع عنها من خلال فنه ويتمسك بريشته وفنه كي يقوم بالإحياء الدائم للتراث السوري الفلسطيني، فهذا أمر يبعث في نفوسنا الأمل الكبير لأنهم مؤتمنون على هذه الرسالة».

الأم أشبه بالأرض

شارك النحات خالد جازية بعمل نحتي بانورامي لأم اختبأ بحضنها أطفالها، مصنوع من مادتي الريزين والبرونز، معتبرا أن عمله الفني جزء من النضال الوطني الذي تعيشه فلسطين بمواجهة الاحتلال الصهيوني وتعيشه سورية بمواجهة الاحتلال الممنهج، ساعيا من خلاله إلى تجسيد معاناة المرأة الفلسطينية من التهجير والنزوح، وقال: «شاركت بعمل نحتي يرصد حالة جداً مهمة بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين بشكل خاص وللإنسان بشكل عام، وهو الارتباط بالأرض، فيوم الأرض هو يوم مقدس، وحاولت أن أستخدم في هذا العمل النحتي ثلاثة عناصر مهمة جدا، هي الأم والأطفال الذين هم الجيل و«البقجة»، ومن خلال هذا العمل أريد أن أوجه رسالة أنه مهما بلغ منا الزمان ومهما حاولت المسافة أن تبعدنا، فإننا متمسكون بأرضنا، والأم هي أشبه بالأرض بحنانها وعطائها ودفئها وبحضنها، وتربينا على القيم والأخلاق ومحبة الوطن والتمسك به وبأرضه، وكيف ندافع عنه وبكل الأشكال، وعملي هذا للتأكيد أن التربية على هذه القيم ضرورة ويجب التمسك بها دائماً».

مرتبط باستحقاقات الأرض والهوية

بيّن الناقد أحمد علي هلال أن معرض يوم الأرض السنوي، هو تقليد يستمر عاماً بعد آخر، لكنه في هذا العام يرتبط باستحقاقات الوجود والهوية، ودائما الفنانون المشاركون في هذا المعرض لديهم الكثير من الأعمال المختلفة، والتي تتباين وفق مدارس ووفق تقنيات مختلفة، والجميل في هذا المعرض أنه يضم تجارب الشبان والمخضرمين من المدارس الفنية والتشكيلية كافة، ويؤمل منه أن ينفتح على تجارب الشبان، والتي تمثل استمراراً للفنانين الأقدم في مضمار الفن التشكيلي الفلسطيني، والذي في استمراره وتاريخه هو جزء من الحركة التشكيلية العربية والسورية، لأنه يمثل في هذه اللحظة كل دلالات المقاومة ودلالات الهوية ودلالات الأرض ودلالات الإنسان العربي المقاوم سواء على أرض السورية أم على أرض فلسطين».

أيمن زيدان.. شكراً لاختطافنا

مسرحية «اختطاف» إخراج أيمن زيدان

| إسماعيل مروة

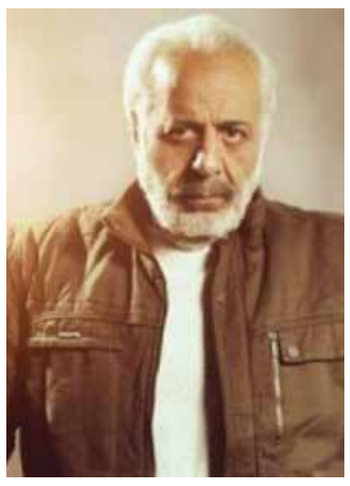

في ظل ما يحدث في سورية بقي أيمن زيدان مبدعاً وإنساناً وسورياً، هو وكوكبة من الفنانين السوريين الكبار، وأثبت معهم أنه مختلف في قماشته ورؤيته ومعالجته، وفي الوقت الذي انكفأ كل شيء تمترس أيمن زيدان بدائرة الطباشير، وجعل الطبشور أقوى من الزيتي والإسفلت، لأنه وطن يستحق أن تكون دائرته كبيرة وعظيمة وراسخة.. لم تكن دائرة الطباشير مغامرة، بل كانت مشروعاً لمسرحه الوطن، وإعادة الروح إلى هذا الكائن الرائع (المسرح) الذي جاء في الحرب ليكون مهماً وعظيماً عظم الأرض والوطن.. ويعلن أيمن زيدان وقوفه مجدداً وراء شباب مبدعين، وكما كان حسام الشاه في دائرة الطباشير شكلاً مختلفاً، كذلك كان الشباب بين يدي إبداع أيمن وأستذته فنانين كباراً في عرضه الذي بدأ في دمشق، وفي أعرق مسارحها (الحمراء) والذي حمل عنوان (اختطاف) وحين حضرت هذا العمل في يومه الرابع وجدتني طائعاً أوجه الشكر للمبدع الكبير أيمن زيدان لاختطافنا في اختطافه، فهو أولاً أعاد طقوس المسرح إلى دمشق، فكان الجمهور كثيفاً، ولا وجود لأي مقعد فارغ، وامتلأت الأدراج بمحبي المسرح وأيمن معاً، فأثبت بما لا يقبل الشك أن المسرح له جمهوره، وأن المسرح إن توجه إلى قضايا عامة وشعبية يمكن أن يأخذ جمهوره العريض، سواء من الخاصة والفنانين أم من عموم المشاهدين.. وهو ثانياً أعطى نفوسنا فرصة للخروج من الدمار والقتال والأخبار ليضعنا أمام مشهدية بصرية بسيطة، لكنها قدمت بعناية مطلقة، وانعتق أيمن من البيئة التي نحياها ليغوص فيها أكثر من خلال حكاية بسيطة وعميقة في الوقت ذاته.. وهو ثالثاً أظهر المقدرات المسرحية العالية لدى الشباب الذين أغواهم المسرح بعطره، وأيمن بأستذته للخروج من أمام الكاميرا الآلية في الأعمال التلفزيونية.

وهو رابعاً جمع المثقفين والإعلاميين والفنانين في منتدى هم أحوج ما يكونون له من دون تنظير أو فلسفة أو أدلجة، وخاصة أنه لم يمارس البكائية، ولم يعرض مشاهد الألم بقدر ما عمل على استقدام صورة مماثلة وشبيهة ليصوغ من خلالها حكاية، يقدم من خلالها ونهايتها جوهر المشكلة والأزمة، وبأن العالم يخضع للمال والاقتصاد والشركات العملاقة، وهو بذلك ابتعد عن النغمات السائدة لدى مثقفينا، ومن يدّعي المعرفة، تلك التي تعمل على تعزيز الانقسام والفرقة والتشرذم. أيمن زيدان خرج من معضلة الخصوصية السورية والعربية، ليدخل في إطار الصراع الحقيقي القائم على الاقتصاد والمصالح، ولا يقوم على العقائد الدينية والطوائف والمذاهب.

بسيطة هي الحكاية، عميقة هي النتيجة، قد يختلف كثيرون مع أيمن زيدان في رؤيته، لكنهم لا يستطيعون إنكارها ودورها، اختطفنا أيمن زيدان من أتون حديث ماضوي قميء ليدخلنا في حكاية بسيطة تعتني بالإنسان، وتظهر أن أي شيء في الكون يخضع للمال والاقتصاد ورجال المال، بما في ذلك المؤسسة الدينية التي لم يستثنها أيمن، لكن قدمها بمشهدية لطيفة لا تغمز فجاءت مقبولة، بل لقيت صدى طيباً لدى المشاهد.

مرة أخرى شكراً لأيمن زيدان، دامت حيويتك وأستذتك، والرجاء أن تبقى جذوة الفن الملتهب البعيد عن التنظير تظهر من خلال ابتسامتك، وشعراتك البيض التي لم يلونها الألم.

عتبة الباب... رواية لوجدان القارئ تدعو بين دفتيها للتأمل والتطلع في أحداث الحرب

«سندس برهوم» في عملها الروائي الأوّل والحبّ هو الحلّ في عوالم واقعية

| عامر فؤاد عامر

تنطلق «عتبة الباب» بنا نحو عالمٍ ألفناه، وضجرناه، في ٦ سنوات مرّت علينا في سورية، ليكون الملفّ السوري هو الملف الأكثر حميميّة في نشرات الأخبار، وملاحقة من الاهتمام العالمي بما يدور في فلك بلدنا الكبير. وما يمكن استقراؤه من الجميع، إن ما حدث ويحدث، هو المادّة التي ستكون زاخرة وثريّة لمعظم الأعمال الإبداعيّة في المستقبل القريب والبعيد، سواء في الأدب أم الشعر أو السينما أو الأغنية أو المسرح، وغيرها من مناحي الإبداعي الإنساني، وهذا ما نلمسه في رواية «سندس برهوم»، التي انطلقت مبكراً في صورة صافية، تنقل وجع الإنسان، ومقته للحرب، ومعاناة تقضّ المضجع، مهما حاول النسيان أو الهروب، فهي عتبة حقيقية لإعلان كثافة إبداعيّة قادمة، سوف تذخر بها أعمالنا الفنيّة في سورية وخارجها.

سندس برهوم

ألمٌ واحد

تقودنا أحداث «عتبة الباب» إلى عوالم واقعيّة عاشها كلّ فرد دخل بتأثير الحرب، على الرغم من أن هذه الحرب لم تغز كلّ بقاع سورية، إلا أن تداعي الألم يفرض على المرء بطبيعته أن تهتم كلّ أعضائه بهذا الألم، وهذا ما يحصل فبعد أن تذكر الكاتبة مناطق متعددة من دمشق تذكر حمص وبعدها اللاذقية وكلّها نماذج تؤلّف وحدة سورية وألفتها، هذا من ناحية، أمّا الناحية الأخرى فهي محاولة الكاتبة في وصف انقسام الأهل بين لونين هما المؤيد والمعارض، وهي اصطلاحات لونيّة فرضتها الحرب بصورة أو بأخرى، لكن يُحسب للكاتبة أنها قدّمت الشريحتين بكلّ تجرد، وذلك بقصد أن يرى القارئ أننا في سورية هكذا نتعدد ونتحد، لنا مواقفنا وتحدياتنا على الرغم من أننا أبناء البلد الواحد، لتكون هذه الرواية هي وسيلة التقاء للطرفين في هدف أدبي راق وإنساني.

مونولوجات وهواجس

اهتمت الرواية بعرض مونولوجات داخلية روتها البطلة «لور» منذ البداية وحتى آخر صفحة من «عتبة الباب»، ومن يميل لهذا النوع من الوصف فسيجد لنفسه المكان الذي يستمتع به، ومن ينْء عن الوصف الداخلي أو المونولوج فلن يرتاح للتعامل مع هذه الرواية، لكن بصورة أو بأخرى لم تكن المساحة بالكبيرة جداً، فهي تصف سنوات التعب في ٩٦ صفحة من القياس الوسط. وعلى الرغم من استخدام ياء المتكلم بكثافة وغزارة في أسلوب الرواية، إلا أن تعاطفاً قوياً يشرك القارئ بالكاتب، فكلّ ما شعرت به بطلة الرواية «لور» هي مشاعر حقيقة وصادقة، وتنبثق من واقع مؤلم تعاملت معه الكاتبة بصدقٍ، ومحبّة، لتوثيقه بصورة أو بأخرى كرسالة سلام تصل لوجدان القارئ، عله يتعلّم من أخطاء من سبقوه في الحياة إلى هذه الحرب المُدمرة.

موازنة

عرض وجهات النظر في تقييم ما يجري على أرض الواقع كان مدروساً بدقة، بحيث لا يمكن القول إن الكاتبة كانت منحازة لوجهة دون أخرى، وهذا ما يميّز الرواية وأهميتها، فمنحت لكلّ مساحته دون زيادة لطرف على حساب الآخر. ومن يراقب حجم الفقرات يجد أن هناك دراسة موضوعيّة لموازنة الفقرات بحيث يمكن القول إن المساحات تساوت في عرض كلّ وجهة لألمها، ومعاناتها، وتعبها، من هذه الحرب، فيغدو القارئ أكثر عمقاً في فهم وتصوّر ما حدث، وصولاً للبحث عن حلّ مشترك يلغي أسباب الخلاف وجذوره، وهذا هو العمق الحقيقي للرواية، بأنها تسعى بهذا الاستعراض لمنح القارئ فسحته الخاصة في تأمل ما جرى وتصور ما يمكن أن يحدث، والذهاب في استقراء واستنباط الحلّ.

مناسبة العنوان

تناغم بين العنوان ومفاصل الرواية نجده من خلال بحث الشخصيّة الرئيسة عن الحلّ، الذي تستنبطه في الهرب من رحى هذه الحرب، والنفاذ بأغلى ما تملكه في حياتها، وهم ولداها «مانيا» و«كريم» وزوجها «أنس»، وعلى الرغم من الراحة التي بدأت تتنفسها بعد تلمّسها للحلّ إلا أنها تقرر بمحبّة ألا تغادر الوطن، فكيف لها أن تترك كلّ الحبّ الذي عرّش في قلبها مع الناس في مكان ولادتها، ومكان العمل، ومع الجيران، وكلّ الأهل، والأصدقاء، لتغدو الخاتمة أكثر جمالاً عندما ترمي بعتبها على زوجها أنس، وهو عتبٌ لطيف يشبه الدعوة بأن: «مدّ لي يدك لأمد يدي لك».

تقابلات

حملت الرواية جرأة في الوصف، ولربما كانت استناداً لتغدو مشاهد الرواية أكثر واقعيّة، وهذا يمكن ملاحظته في مشاهد مجزرة الأطفال، والخوف أثناء عبور ساحة العباسيين في دمشق، ومشاهد الحبّ بين عامر ولانا، وبين لور وأنس. لكن الجرأة كانت في التقابل الفنّي أيضاً، فطرفا القتال اتفقا على كلّ ما له علاقة بالقتل، يقابل ذلك وصفها لوالديها في الضيعة اللذين اتفقا على كلّ ما له علاقة بالحبّ. أيضاً التماثل في مشهد العزاء وكلمات العزاء بين الطرفين «المُعزّي ومتقبل العزاء» الذي جاء بين الواجب، والدين، والشتيمة، في كلمات يتبادلها الطرفان.

الأمّ

نجحت الكاتبة في روايتها بتقديم الصورة الدقيقة للأمّ، وإتقان رسم صورة الوجع الذي يصيب الأمّ في عرس ابنها الشهيد، وما يمكن لذاكرتها من منح مشاعر خاصّة لا يمكن للفرد أن يستقيها إلا إذا حقق الشرطين، وهما أن يكون أنثى، وأن يعيش الظرف نفسه. فذاكرة الحليب، والألم، والوجع، كلّها جاءت بصورة متقنة وبلغة عاطفيّة عالية.

بين الوجع والحبّ

عرّجت الرواية أيضاً على ما أضافته الحرب على حياتنا من تفاصيل جديدة، شئنا في التعامل معها أم لم نشأ. وكأن واجب الحرب هو امتصاص اللون من حياتنا. أيضاً من النقاط التي بيّنت جماليّة الحبكة الروائيّة هو اختيار وجع المعدة الذي يحتلّ جسم بطلة الرواية، ويلاحقها رغماً عنها، وهذا الفراغ الذي لم تستطع التخلّص منه حتى في البحث عن الحلّ، ولكنها استطاعت أن تتلمس الطريق في الدواء فقط عندما قررت أن تسلم نفسها للمحبّة، وأن تساند نفسها مع زوجها، وذكرياتها، وماضيها بحالة متجددة من الحبّ.

الشخصيّات والزمان

يمكن القول في النهاية إن الرواية غير محددة المعالم كأشخاص عاشوا مرحلة الصراع، إلا أنها تحمل أوصاف مرحلة زمنية عشناها واتفقنا على فهم تفاصيلها قبل البدء بقراءة الرواية، ولذلك يمكن للقارئ العربي والسوري تحديداً فهمها جيداً، على حين ستكون صعبة الفهم على القارئ الآخر.